رثاء الأب في الشعر العربي المعاصر

الاستاذ المساعد الدكتور

عبدالرضا عطاشى

جامعة آزاد الإسلاميّة إيران_فرع آبادان

الاستاذ

إللهه پى سپار

جامعة نواندیشه و جامعة پیام نور ب جهرم

المقدمة:

يعدُّ الرثاء من الموضوعات البارزة في ديوان الشعر العربي ، سواء في القديم أو المعاصر ، لأنه يرتبط بظاهرة الموت الذي كتبه الله على كل البشر ، و من الطبيعي أن يحزن الإنسان ، فضلاً عن الشاعر ؛ لفقد أحبته و غيابهم عن الأنظار. و من أجل هذا ، لطالما عبَّر الشعراء عن إحساسهم بفقد الأحبة ، ولاسيما الأب ، إذ كان فقد الأب مصاباً جللاً و خاصةً إذا كانت علاقة الابن بأبيه على نحوٍ وثيقٍ ، سواء في صورةٍ إيجابية أو سلبيةٍ.ولعلَّ من الأهمية أن نشير هنا إلى أبرز الشعراء في العصر المعاصر ، الذين عاشوا هذه التجربة ، و حاو لوا أن يعبروا عنها ، ومن هؤلاء على سبيل المثال: محمود سامي البارودي ، أحمد شوقي ، ايليا أبو ماضي ، أبو القاسم الشابّي ، صلاح عبد الصبور، عبد المنعم الرفاعي ، نزار قباني ، إبراهيم السامرائي ، حبيب الزيودي ، الحساني حسن عبد الله ،أحمد صالح الصالح ،وسواهم .فاخترت هذا الموضوع للأسباب التالية:

الف: مرثية الأب ، تشف عن عاطفة إنسانيةٍ راقيةٍ ، هي عاطفة الابن تجاه فقد أبيه.

ب: عدم عناية الدارسين بموضوع مرثية الأب في الشعر العربي المعاصر ، على العكس من موضوع مرثية الأم الذي كان محط عنايتهم واهتمامهم لعل أهم ما يمكن أن يشار إليه هنا كتاب(الأم في الشعر المعاصر) لمحمد إبراهيم حوّر وقد

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليل ، الذي يقوم على جمع المادة الشعرية من مظانّها ،وذلك لغايات وصفها وتحليلها تحليلاً نقدياً من شأنه أن يكشف عن أبعادها النفسية والفكرية وقد اقتضت طبيعة هذه المقاله أن أجعلها بعد المقدمة ،فصلا مهماًوذلك على النحو الآتي:

الف: تجربة فقد الأب ومواقف الشعراء.

ب: موقف الحزن والتّفجع .

ج: موقف الحنين والتّذكار.

د: موقف العتاب والنّدم

وفي الأخيرتأتي الخاتمة : وهي تشتمل على أبرز النتائج التي انتهى إليها البحث .

دراسة تمهيدية:

تواجه الإنسان في حياته صدمات شتى تسبب له الحزن والأسى ، وأعظم تلك الصدمات فراق الأحبة ، وأشد صور الفراق إيلاماً ما كان سببه الموت ، مما يفجر عاطفة الحزن في النفس الإنسانية (زنجير،١٩٩٥م :ص٢٤١) ولا شك أن الحزن على مرّ العصور يعتبر " مادة أساسية في قصائد الرثاء ،وهو الخيط الذي يلف أفكارها " (مخيمر،١٩٨١ م:ص٢٠) وهو أحد صور العاطفة و المشاعر الإنسانية الفطرية " (الخاطر ،١٤١٢هق :ص١٦) " والحُزْن والحَزَن : نقيض الفرح ، وهو خلاف السرور ، والجمع أحزان (ابن منظور ،١٩٩٧م :ص١١١) "وقد يمر الإنسان بمرحلة خطيرة بين الحزن والتفجع لدرجة أنه يصاب بإنكار ذلك المصاب وعدم التصديق ، فلا يصدّق بالذي حصل ؛ وذلك لكي يهون على نفسه المصيبة " (الخاطر١٤١٢هق:ص٢٤).

وللحزن أنواع بحسب أسبابه - :

الأول : هو حزن مطلوب ويمتدحه الله سبحانه وتعالى ، وهو الحزن على أمر من أمور الدين ، وهذا الحزن يدفع إلى الكفاح و الجهاد فلا يثبط الإنسان.

الثاني : الحزن على فراق أمر دنيوي ، وهذا أمر يجب أن نحرص على عدم حدوثه ، لأن هذه الدنيا لا تساوي شيئا بالنسبة للآخرة " (الخاطر،١٤١٢هق:ص١٩) وأكثر الناس الذين يؤثر فيهم هذا الحزن هم الشعراء ، ولذلك نرى "

الحضور المكثف لظاهرة الحزن في قصيدة الرثاء ، وهذا جعل منها ظاهرة أصيلة تنبع من جوهر النص الشعري(المالكي،١٤٢٧هق :ص١٢٩) " وتولد مشاعر الحزن في نفس الشاعر انفعالات تهيجه على قول الشعر ،وتبرز قيمة هذه الانفعالات عند الرثاء". (زنجير،١٩٩٥م :ص٢٤١) وكان البكاء مظهراً من مظاهر الحزن والتأثر عند الشعراء " والشاعر يئن ويتفجع حين يشعر بلطمة مروعة تصوَّب إلى قلبه ، فقد أصابه القدر في أبيه ، وهويترنَّح من هول الإصابة ترنُّح الذبيح ، فيبكي بالدموع الغزار ، وينظم الأشعار فيبث فيها لوعة قلبه وحرقته ".(شوقي،١٩٩٩م :ص٦١)

تجارب الشعراء المعاصرين من رثاء الأب:

١- تجربة رثاء الأب عند الشاعر عبدالمنعم الرفاعي:

كما نرى في العديد من تجارب الشعراء ومنهم الشاعر عبد المنعم الرفاعي ، إذ إن الموت كان شديد الوطأة على نفسه(زنجير،١٩٩٥م : ص٢٤٢) فهو يقول في أولها :

أيهـا الهامـد جسـماً ولسـانا خلـف الـدنيا جـلالا والزمانـا

(الكوفحي،٢٠٠٣م :ص ٣٠)

قصيدة أبي عبد المنعم الرفاعي تدور حول رثاء الشاعر لوالده ، وذكر محاسنه ، وأثر فقده ، وعاطفته هنا صادقة حيث يتضح حزنه العميق فيها ، وتفجعه في مصابه بفقد والده ، وربما يعود ذلك لارتباط الشاعر القوي بوالده ، فهو الذي حبّبه في الشعر ، لقد استطاع الشاعر عبد المنعم الرفاعي أن ينقل لنا تجربته الذاتية في صورة شعرية رائعة ، ما يدل على براعة هذا الشاعر في تصوير اللامعقول في صورة المعقول بألفاظ موحية ومعاني جزلة ، و أنَّ النص قد تميز بصدق العاطفة ، حيث تحدث الشاعر عن تجربة شعورية صادقة حدثت بالفعل ، لذا نلاحظ الصدق في التعبيرات و الأفكار والمعاني التي أوردها في قصيدته. كما استخدم الألفاظ الموحية بتلك العاطفة ، والقادرة على نقل ما يجده من معاني وأحاسيس ؛ فنجده عندما تحدث عن ألم الفراق والحزن والتفجع أتى بألفاظٍ عميقة الدلالة على ذلك مثل : الهامد ، الموت ، جثمانه ، هجعته ، تلاشيت، أشلاء ، ظلمة ، مفجوعك ، القبر ... أما

عندما تحدث عن الاضطراب والحيرة ، فنطالع على سبيل المثال : ما العيش ؟ ، ما الموت ؟ ، أحجيات ، غموض فكلها ألفاظ وعبارات موحية وملائمة للمعنى الذي أراده الشاعر حيث نلمح من خلالها قدرة الشاعر على الاختيار الدقيق والصياغة المؤثرة. نتحرك قليلاً إلى أبيات لشاعر آخر حيث جاءت قصيدته جنان الخلود لك الموئل لتؤكّد روح الشعر العربي الصافي الذي يمتلكه هذا الشاعر الكبير يوسف أبو هلالة ، حيث أعاد من خلال هذه القصيدة روح غرض الرثاء في التراث العربي القديم ولكن برؤية حديثة ، فنجد أن الشاعر يسيطر على رثائه الحزن والتفجع فهو في تعبيره عن افتقاد والده ، يصف حاله وصفاً دقيقاً ثم يتحدث عن أحوال والده والظروف التي أحاطت به قبيل موته وأنه كان مصابا بالشلل لمدة ثماني سنوات تحمَّل المرض الشديد فيها بعد ستين عاماً من عمره ، حيث أعطى صورة للشمس عند غروبها وهى تحمل الآلام ، كما أن النهار يكتئب عند رحيلها ويذبل وكأن تلك الشمس هي والده المفتقد ، ثم يتحول الشاعر للحديث عن مناقب والده وصفاته الحميدة ، التي قلما أن يتصف بها إنسان فيقول :

أتـاني بنعيـك بعـض الصـحا ب فنـاءت بمـا ارعـني الأرجـل

(ابوهلالة،١٩٩٨م :ص٣٧)

٢-تجربة رثاء الأب عند الشاعر سامي البارودي:

ننتقل إلى قصيدة أخرى في الرثاء وأرى أن هذه القصيدة رائعة لكن لو كانت في العصر القديم ، فالشاعر محمود سامي البارودي اعتمد في قصيدته طريقة القدامى في تناول المضمون والشكل فالبارودي يعمد إلى التقليد منذ البداية فهو يصوِّر والده المرثي فارساً من فرسان الصحراء العربية في العصر الجاهلي ؛ فهو الذي كان يحمي أنعام القبيلة ، وهو قائدها الذي لا يشقّ له غبار في الحرب ، ووجهها الساطع الذي لا ينازع في السّلم. (بسيوني،١٤٢٥م : ص١٥١)فإذا ما انتقل إلى المعاصر عن أثر موت أبيه في حياته وجدناه يعود إلى الواقع ، ولمحناه طفلا في السابعة من عمره يفقد الأب الحامي:

مضـى وخلّفـني في سـنّ سـابعة لا يرهب الخصم إبراقي وارء عادي

(بسيوني،١٤٢٥م:ص١٥٢)

"الحنين هو الشوق ،وشدة البكاء والطرب ، أو صوت الطَّرب عن حزن أو فرح" (الفيروزآبادي،٢٠٠٥م :ص١١٩١) "والحنين عند ابن منظور ، هو الشديد من البكاء والطرب ، والحنين : الشوق ، وتوقان النفس ، والمعنيان متقاربان ". (ابن منظور،١٩٩٧م :ص١٢٩) و في " حديث عن النبي : (ﷺ) أنه كان يصلي إلى جذعٍ في مسجد ، فلما عمل له المنبر صعد عليه ، فحنَّ الجذع إليه ، أي نزع واشتاق " (ابن منظور،١٩٩٧م :ص١٢٩) هناك نوع من الحنين ، مثل حنين المرأة لزوجها ، أو الأم لطفلها ، وهذا حنين رقيق مع مشاعر لا توصف ، أمَّا الحنين الآخر فإنَّه الحنين الموجع عندما تفارق من تحب وأنت على يقين بأنَّك لنْ تراه إلى الأبد فالآن هو أمامك لا يتحرك و كان دائما بجوارك يؤنسك و يسليك و يعطف عليك و يزودك من الحنان ما يمكنه من دخولِ قلبكَ إلى الأبد، فها هو يرحل و ما أنت فاعل! فالفرق بين الحنينين كبير ، فالأول فيه فرحة ؛ لأنه يتبعه لقاء ، والثاني فيه حزن ؛ لأنه بعد الفراق. وعندما يفقد الإنسان والده تكون المصيبة عظيمة " فتبقى عيناه متعطشة لرؤياه ويبقى قلبه يحن إليه ، ولن يعرف الراحة في النوم ، ولا الطعم في الأكل ، ولا المتعة في مجالسة الأصدقاء والأقارب ، فقلبه مع أبيه المفقود ، و يعجب من المبتسمين ويقول : كيف هؤلاء يبتسمون في مثل هذا الوقت ، ولن ينطفئ ذلك الحنين إلا بالصبرعلى المصيبة ؛ لأن اللقاء لن يتم ، فالأب قد توارى عن نظر ابنه إلى الأبد ، لذلك فإن الابن عندما يحن لوالده المتوفى ، فهو مع كل نفس يتنفسه تكون بداخله مقولة تُلح عليه ، هي لقد اشتقت إليك كثيرًا

٣-تجربة رثاء الأب عند الشاعر حبيب الزيودي:

نجد الشاعر حبيب الزيودي يحزن على فراق والده ، ويحن إلى الماضي الجميل الذي يستعيد فيه الذكريات حيث يغدو الأب مفجرًا للذكريات الجميلة والحزينة في نفس الوقت ، ومشعلاً للقيم القروية والإنسانية التي يحن إليها الشاعر ، ويمثّل الأب

قوة العائلة وهيبتها ويقارن بين الماضي الذي عاشه مع أبيه وبين الحاضر الذى وصفه بحاضر الخسارات والانهيارات والخيبات فيقول:

أقـــول أبـــي فيســـعفني لوجـه أبـي ويخـذلني الكـلامُ

(الزيودي،١٤١٨هق :ص٤٤)

٤-تجربة رثاء الأب عند الشاعرصلاح عبدالصبور:

ننتقل إلى تجربة أخرى لشاعر آخر تختلف عن تجربة حبيب الزيودي وهي تجربة صلاح عبد الصبور ففي هذه القصيدة عبر عنها بالشكل القصصي الذ ي يفسح المجال لالتقاط معنى الحنين من خلال سرد الشاعر لذكرياته مع والده مباشرة بعد ما استقبل خبر وفاة الأب حين يقول:

....وأتى نعي أبي هذا الصباحْ

.....نام في الميدان مشجوج الجبينْ

(عبد الصبور،١٩٧٢م:ص٢٣)

لقد ظهرت عاطفة جلية وواضحة في القصيدة من خلال بنية الشاعر العميقة للمعاني حيث تحمل الكلمات معنى الحنين ، على الرغم من عدم التصريح بهذه الكلمة ،كماكان ذلك التصريح عند حبيب الزيودي. بدأت الذكريات تجذب بعضها بعضاً في مواقف تذكرها الشاعر بعينها ، وبدأ الحنين والشوق يدب في قلب الشاعر حينما تذكر مرحلة الطفولة ، وحينما كان يحمله أبوه وهو صغير السن ، ويصف تفاصيل دقيقة في طفولته وشاعر آخر جاءت قصيدته فقط لرفع الُلوم من قبل الآخرين على تأخره في رثاء أبيه ، وتبرز هنا قصيدة أحمد شوقي في رثاء أبيه ، حيث كانت قصيدته خالية من العاطفة الصادقة ، و المشاعر المؤثرة ، فعلى الرغم مما قيل عن أمير الشعراء ، من أن شعره" كان ينساب كالجدول ، والنهر النمير ، يطرب سامعه ، ويثير الإعجاب " (عبد المجيد،١٤١٤هق :ص١٠٦) ولعل أبرز ما يميز قصيدة أمير الشعراء الميل إلى الحكمة والمبادئ التي خلص إليها الشاعر بالتفكير الواعي ، وهي وليدة لعقله العارف المستنتج ، وعُرف عن أحمد شوقي الرثاء الفلسفي العميق

، حيث يسلك مسلك الشعراء القدامى فينفذ من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة كما في قوله:

يـا أبـي ، مـا أنـتَ في ذا أولٌ كـلُّ نفـس للمنايـا فـرضُ عَـينْ

(شوقي،١٩٨٢م : ج١٥٤/٢)

إذا نظرنا إلى طريقة شوقي في عرضه لذكرياته نجده يسردها بأسلوب بارد لا يحزن فيه ولا يتألم كباقي الشعراء ، ولا عجب في ذلك ؛ لأن أحمد شوقي لا يتغنَّى وجدانه الفردي إلا قليلاً ، ولكنه يحاول دائماً أن يتغنَّى وجدان عصره ومجتمعه . اعتمدت مختلف المجتمعات الأسرة نظام اً أساسياً ومصدراً أخلاقياً وتربوياً يعمل على تنشئة الابن لصالحه وصالح المجتمع ، وتقع على الأب مسؤولية رعاية هذا الابن بشكل أساسي مع الأم ، كما يوجهنا إلى ذلك رسولنا الكريم(ﷺ) في قوله " أَلَا فكُلُّكُمْ اَرعٍ وَكُ لُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيتِهِ " وحينما يقوم الأب بإشباع حاجات الابن وتحقيق ما يصبو إليه وتوفير الأمن العاطفي والفكري والاجتماعي والمادي وكل أنواع الاحتياجات ، ثم نجد الابن بعد ذلك لا يفي الأب حقه من الولاء ، والعطاء ، والوفاء ، فهنا فتتحكم مشاعر الندم بالابن وتسيطر عليه فيتذكر قصوره في واجبه تجاه أبيه ، فالشعور بالندم ، وعتاب الأب علاقة عكسية ويكون العتاب نتيجة تقصير الأب في حق الابن ، والندم نتيجة تقصير الابن في حق أبيه . العتاب فن من أهم فنون التعامل مع الآخرين ، ولكن إذا استُخدِم في الوقت المناسب " وهو من الموضوعات الشديدة التَّعقيد ، البالغة التَّفرُّد (الشيخلي،٢٠٠٩م :ص٢٤) "والعتاب في اللغة من " عتب عليه : وَجَدَ ، والعتاب مخاطبة الإدلال ومُذاكَرَة المَوْجدة"(الفيروزآبادي،٢٠٠٥م :ص١١١-١١٢)وعاتب من عاتبه معاتبةً وعتاباً : لامه والعَتْبُ والعُتْبان ، لومُك الرجلَ على إساء ة كانت له إليك ، فاستعْتبْته منها (ابن منظور،١٩٩٧م :ص٥٧٧) "وقال أوس بن حارثة لولده : العتاب قبل العقاب". (الثعالبي،١٩٩٢م :ص٢٨)وكتب في ذم العتاب " العتاب مقدمة القطيعة ... ورسول الفرقة وداعي القلى وسبب السلوان وباعث الهجران (العسكري،١٩٩٤م :ص١٦٣) وقال الإمام علي كرم الله وجهه " لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون

استعتاب " (الأندلسي،١٩٩٠م:ص١٦٣) وهناك أسباب متعدِّدة من شأنها أن تحدث العتاب منها (العتاب بسبب السخرية ، أوالخيانة ، أو الخداع ، أو الغيرة ، أو الحسد). (الشيخلي،٢٠٠٩م :ص٢٧) وللعتاب أهداف نذكر بعضها وهو ما يخص موضوعنا في رثاء الأب وهي: (أن يكون العتاب أداة لنقد الآخر كأن ينتقد الابن أباه ، والشعور بعدم الرضا عنه ، العتاب كإعلان عن الود و المحبة ، العتاب كمحاولة لفهم الآخر لغموضه و انعدامه) (الشيخلي،٢٠٠٩م :ص٢٩) قال عبد الله بن جعفر لابنته " إياكِ والغيرة فإنَّها مفتاح الطلاق ، و اياكِ وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء . (الشيخلي،٢٠٠٩م :ص٩٩) ومن يتأمل قصائد مرثية الأب في العصر المعاصر يجد عند الشعراء أنماطاً متعددة من المشاعر ، منها الحزن والتفجع ، والحنين والتذكار، والعتاب والندم ويعتبر العتاب غرض اً شعري اً يضع الشاعر في موقف حرج يحتاج إلى براعة ؛ لأنه يتصل بوجدان الشاعر فلا يمكِّنه من التخلي عن موقفه ، وعليه أن يعادل بين الصعوبة واللين في عتابه ، وحين يكون العتاب لإنسان حي فهو مقبول أما إذا كان العتاب لإنسان مفقود ، فذلك مما يدعو للغرابة ، وهذا ما وجدناه عند الشاعر صلاح عبد الصبور الذي سيطر عليه الخوف ، واتضح ذلك من الكلمات التي استخدمها في أبياته .

ومن عتابه لوالده ، فهو ليس خائفاً من الموت بحد ذاته ، وانما هو خائف من الحياة بعد موت أبيه ، فبدلاً من أن يعاتب الموت الذي قضى على أبيه ، راح يعاتب الأب . (عبد الصبور،١٩٧٢م:ص١٢٠)ويلجأ حبيب الزيودي إلى العتاب أيضاً في قصيدته ولكنه هنا لا يعاتب أباه ، وانما يعاتب الموت .(الزيودي،١٤١٨هـق :ص٤٠)واذ ما هدف الشاعر هنا من عتاب الموت ، وهو يعلم أنه ليس له سبيل على الموت ، وأن الموت لا يعاتَب ، فلا جدوى تُرجى من عتابه ، إذن هو ينتقد الموت الذ ي يحفه الغموض ، الموت الذي غ يب أباه ، سيفه الحامي من الشرور والمصائب ، ورداءه الذي يغطّيه ويدفئه ، بل إنّه الخبز والماء ، فهو كلّ ما في الحياة من مفردات أساسية ، وبأخذه من الحياة يتحوّل الشاعر إلى العراء والفناء إلى الهجير بلا سند ولا حماية قائلاً:

.....ما الذي يقصيك عني ؟
.....ما الذي يدعوك للبحر الكبير ؟
.....ما الذي يدعوك للدرب المضلل ؟
(الزيودي،١٤١٨هق :ص٤١)

٥-تجربة رثاء الأب عند الشاعر أبي القاسم الشابي:

ولا يعْدَم القارئ المتذوق الصدق العاطفي في مرثية أبي القاسم الشابي(يا موت):

يا موت ! قد مزقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري
ورميتني من حالق ، وسخرت مني أي سخر
فلبثت مرضوض الفؤاد أجر أجنحتي بذعر

(الشابي،١٤٢٥هق :ص ١٤٠)

كان الشابي شاعراً متوهج الحس ، صادق الهاجس ، ذا شخصية ثائرة ، فنراه يثور على الموت فبدأ بتوجيه عتابه الشديد مباشرة إليه ، على أنه مصدر المصائب" فموت والده أحدث هزة عنيفة في حياته ، كان من آثارها أن وجد الشاعر نفسه فجأةً مثقلاً بالأعباء ، فقد كان والده ملاذه الأول عند الخطوب". (الشابي،٢٠٠٩م : ص ٤٨) عندما نتأمل قول الشابي في أبيه ندرك مدى ارتباطه بهذا الأب الحنون يقول الشابي عن أبيه " إنه أفهمني معاني الرحمة والحنان ، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم ، وأقدس ما في الوجود" (الشابي،١٤٢٥هق :ص٧)والشابي عاش المأساة وأدركها لذا كانت عاطفة العتاب عنده صادقة ؛ لما كان من معاناة مريرة بعد موت أبيه ،فعتابه حمل نبرة يائسة مستسلمة لحقيقة الموت ، ألا وهى تمنى الموت بعد وفاة الأحباء ، وهذه النبرة لا تتفق مع طبيعة أبى القاسم الشابي التي تميل إلى التفاؤل ، ولعل معاناة أبي القاسم من مرض القلب و ايمانه بأن أجله قريب ومن ناحية أخرى نجد الشاعر الحساني حسن عبد الله يلجأ إلى العتاب حيث جاءت قصيدته قصيدة رثائية من نمط جديد في موضوعها ؛ لاحتوائها على هجاء للأب لم يعرف عند أحد قبله. ينطلق الشاعر في قصيدته من الرثاء إلى الهجاء ، فحالة العتاب ، والتأنيب

،والغضب و لم يجد الشاعروقتاً مناسباً لعتاب والده إلا بعد موته ، حتى يستطيع أن يقول كل ما يجول بخاطره بحرية ، وعاطفة الشاعر تتراوح بين العتاب أحياناً وبين الهجاء أحياناً أخرى يقول الشاعر:

أبــى دمــع تحــرك في جفــون وطيفــك ماثــلٌ في ناظريــا

(الحساني،٢٠٠٤م :ص٤٥)

من الجدير بالذكر أن الشاعر تذكر سوءات أبيه التي ظل يعاني منها طوال حياته ، فكانت هذه السوءات هي المبررات العقلية التي أتى بها الشاعر في صيغة عتاب ؛ لتوضح أسباب تحرك الدمع وتقطره فالدمع يتحرك ويقطر ، ولا يستطيع النزول من عيني الشاعر ولفظة يقطر تدل على الدمع القليل ؛ نظراً لأن الأب كان جباراً عتيا فالشاعر يحاول استعطاف الدموع لتنزل على فراق أبيه المغيب كأي إنسان طبيعي ، ولكنه لا يستطيع ذلك ؛ لذا نجد الشاعر بصددٌ إقناع الأب الميت والقارئ بأسباب عدم بكائه في هذا الموقف المؤلم. يتضح مما سبق تنوع نبرة العتاب عند الشعراء ، واذا أردنا أن نطلق صفة على كل شاعر بحسب ما تحمله قصيدته من مضمون فصلاح عبد الصبور نسميه الفيلسوف لرؤيته الفلسفية التي ضمنها أبياته ، حيث جعل ذل ك منطلق عتابه لأبيه ، وليس للموت ، لإيمانه بأن الإنسان هو الموت فكان عنوان قصيدته " أبي" فالعنوان أنبأ عن مضمون القصيدة ، أما حبيب الزيودي فنسميه المتفائل ويتضح ذلك من عنوان قصيدته " منازل أهلي " فهو بعد أن وصف أباه بعدة صفات أنه السيف الحامي من الشرور والمصائب ، وردا هؤ الذي يغطّيه ويدفئه ، بل إنّه الخبز والماء ، إذن فهو كلّ ما في الحياة من مفردات أساسية ، وبأخذه من الحياة يتحوّل الشاعر إلى العراء والفناء ، والشاعر أبو القاسم الشابي نطلق عليه الشاعر المتشائم ؛ لأنه كان متعلقاً بوالده إلى حد التقديس ، فكان يرى فيه المثل الأعلى في عقيدته وسلوكه ، فلما افتقده كان موته صدمة صاعقة زعزعت كيانه ونبهته إلى فاجعة المآل والمصير ؛ مما جعله يشعر بالتمزق العاطفي . (المسدي، ١٩٩٣م : ص٥١) ومما يدل على ذلك العنوان الذي أطلقه على قصيدته (يا موت) فالعنوان يحمل العتاب صراحة للموت ، فنادى عليه بصيغة النكرة لتفيد العموم والشمول ،

فهو يريد الموت بأي حالٍ كان ، وأخيراً الشاعر الحساني الذي نسميه الشاعر المهموم ، الحزين ، الشجي ، الجسور ، الذي افتقد حنان الأب ، وعطفه ، وظهر ذلك بقوة في رثائه المتضمن هجاء لوالده المفتقد ، وقد كانت قصيدته بمثابة الصدمة في شعر رثاء الأب ونستطيع أن نقول أن " عتابه جاش به صدره ، وضاق عن كتمانه صبره . (العسكري،١٩٩٤م :ص١٦٣) أما الندم ، فهو إحساس مؤلم يصاحب الإنسان في مشوار حياته ، شعور قاسٍ يجتاحه بلا رحمة ، ويختلف الندم باختلاف طبيعته ، اولسبب من ورائه . فهناك لحظات ندم تمر بسرعة ، وهناك لحظات ندم تنقش في ذاكرتنا وتؤثر سلب اً على حياتنا ، هناك من يندم على التقصير في حق الله عز وجل ، وهناك من يندم على فقدا ن إنسان غالٍ على نفسه ، وهناك من يندم على عمل كان ينبغي أن يقوم به ولكنه لم يفعله ، فأسباب الندم عديدة. "والندم لغة : نَدِم على الشيء ، وندم على ما فعل نَدَماً ، وندامة ، وتَنَدَّم: أَسِفَ ، ورجل نادم ، وندمان : أي مهتم . وفي الحديث: الندم هو التوبة. (ابن منظور،١٩٩٧م :ص٥٧٢) أما اصطلاحاً : فالندم ، هو الغم الملازم لصاحبه على أمر حصل منه تفريط (العنزي،٢٠١٠ م :ص١٩) والندم أيضاً هو " : توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب ، وعلامته طول الحسرة والحزن ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والفكر ، فمن استشعر عقوبة نازلة... ببعض أعزته ، طالت عليه مصيبته وبكاؤه " (الغزالي،١٤١٥هق :ج٣٤/٤) أما الحسرة : فهي " أشد التَّلهُّف على الشيء الفائت " (السبكي وعبدالحميد،١٩٩٨م: ص١٠٢)والحسرة : هي " أشد النَّدم حتى يبقى النَّادم كالحسير من الدواب ، أي الذي لا منفعة منه .(ابن منظور،١٩٩٧م :ج١٨٨/٢)

٦-تجربة رثاء الأب عند إيليا أبي ماضي

جاءت قصيدة الشاعر إيليا أبي ماضي في موت والده مرثية متعددة الأغراض ما بين حزنٍ وتفجع على فراق والده ، وما بين حنين وتذكار لحياته معه ، وما بين عتاب ولوم ، وندم وتحسر وايمان أبي ماضي بأن الإنسان بعد موته سوف يعود ، فيولد من جديد ، إما حيواناً أو نباتاً تدب فيهما الحياة ، هو إيمان استقاه من بعض أقوال الفلاسفة القدماء الذين كانوا يقولون إن الإنسان الفاضل سيتحوّل بعد موته

عن طريق التناسخ إلى زهرة ، فوّاحة العبير ، والإنسان الشرير سيتحوّل إلى حيوان ، فنجد الشاعر يوظف هذه الأفكار في شعره ، نراه يخاطب أباه في أبياته وكأنه متأكد أنه سيعود ، وهو نادم يلوم نفسه لوماً شديداً على ظروف حادثة الوفاة حيث يقول:

طوى بعض نفسي إذ طواك الثرى عنّي وذا بعضها الثاني يفيض بهِ جفني

(أبو ماضي،١٩٩٩م : ص١٠٩)

يبدو جلياً حزن الشاعر وتفجعه على وفاة والده من قراءتنا للأبيات وخاصة أن الشاعر لم ير أباه لحظة وفاته ، ولم يشارك في جنازته ؛ وكان لهذا أثره النفسي على الشاعر ، فنحن أمام شاعر عانى من مرارة فقدان الأب وقسوة الزمان ، وتنكر الدهر له . هذا هو الشاعر إيليا أبو ماضي فبالرغم من ميله في كثير من أشعاره إلى التفاؤل والأمل وحب الحياة ، والإقبال عليها ، إلا أنه في هذه القصيدة بدا محزوناً منكسراً أمام الفاجعة التي ألمت به ، ألا وهى فقدان أغلى صلة قرابة للإنسان ، وأكثرها حميمية. يؤكّد الشاعر في ابياته أنّ نفسه قد انقسمت قسمين يوم وفاة أبيه ، النصف الأول طواه الثرى إذ طوى أباه ، والنصف الثاني فاض عبر الدموع التي تساقطت من جفنه ، ثم يقول إنّ الردى قد ارتكب خيانة بحقّه إذ أخذ أباه ، فتحطمت كلّ أحلامه وآماله بالسعادة. وفي ثنايا القصيدة تحول الشاعر إلى غرض الندم ، فحزنه على وفاة والده أدى إلى ندمه على عدم قدرته على المشاركة في جنازته والندم يأتي نتيجة للحزن والاكتئاب ، أشارت دراسة لبدر الأنصاري أحد الباحثين في دولة الكويت إلى وجود ارتباط جوهري موجب بين حالة الندم وحالات أخرى منها : الحزن ، و الاكتئاب ، واللوم ، والخوف ، والغضب ، ووهن العزيمة ،والذنب ، والكره). (عياش،١٤٢٢هق : ص١٧٧) وهناك نوع آخر من الندم نجده عند الشاعر أبي القاسم الشابي في قصيدته " الاعتراف" حيث جاءت هذه القصيدة ؛ لتوضح أن هذا الشاعر متقد العاطفة يشتعل بها ، ولاشك في ذل ك إذ كانت العواطف عنده مرضا ناهشاً فعبر فيها عن عاطفة الندم التي ظهرت واضحة جلية في أثناء نظمه لها. واسم القصيدة "الاعتراف" لا شك يوحي بمعاني الندم والشعور بالذنب ، لما يرويه النادم من اعتراف حقيقي بما اقترفه من آثام ، إذ قلّما

يعترف الإنسان بأخطائه صراحة ، فهذه نحسبها جرأة كبيرة من الشاعر وأسرار بداخله رغب أن يطلع عليها القارئ لأسباب معينة فنراه يقول:

ما كنتُ أحْسَبُ بعدَ موتك يا أبي ومشـــاعري عميـــاء بـــالأحزانِ

(الشابي،٢٠٠٩م : ص ٢١٢)

لقد كان الشاعر يعتقد أنه بعد موت أبيه سيعيش في حزن دائم ومتواصل ، ولكن انتابه الشعور بالندم عندما عاد بعد موت أبيه إلى نهر الدنيا المتوهج النشوان ولعل سبب الفارق الجوهري بين غ رض الندم في رثاء الشاعر إيليا أبي ماضي ورثاء الشاعر أبي القاسم الشابي ، فالأول حمل مضموناً مستكيناً ضعيفاً يعتمد أكثر على استثارة العاطفة ، واستجلاب الحزن من القارئ لمشاركة الشاعر في تجربته ؛ لأنه لا يحمل مبررات مقنعة لأسباب ندمه ، أما الثاني فقد تميز بالقوة إلى حد أنه لم يخش أن يسمي قصيدته (الاعتراف) اولسبب في هذا التماسك في المضمون ؛لأن الشاعر يتسلح بالمبررات المقنعة الموجبة للندم والتي لم يقع فيها الشاعر وحده ، بل يقع فيها جميع أجناس البشر على اختلافهم ، وربما يؤشر الفارق بين القصيدتين على هذا النحو إلى الفارق الزمني في نظمها عند الشاعرين ، ونحن نرجّح أن يكون أبو ماضي قد كتب قصيدته بُعَيد وفاة والده ودفنه ، في حين يظهر أن أبا القاسم الشابي قد كتبها بعد فترة زمنية طويلة ،ولعل ذلك في لحظة استذكار لأبيه على نحوٍ ما.

الخاتمه

اختلفت مواقف الشعراء إزاء تجربة فقد الأب ، حيث أمكن تمييز ثلاثة مواقف رئيسة ، هي : موقف الحزن والتفجع ، وموقف الحنين والتذكار ، وموقف العتاب والندم . على الرغم من التباين الواضح بين الشعراء في مواقفهم السالفة ، فإنه لا تكاد تخلوقصيدة واحدة من عاطفة الحزن والتفجع ، إذ يظل هذا الشعور ساريا في أغلب النصوص الرثائية.في قصائد الحنين والتذكار، يلحظ المتتبع مدى الأثر الكبير

لموت الأب في تفجير ذاكرة الشاعر ، التي جاءت مليئة بالمواقف الحياتية و التفاصيل الدقيقة التي لا تزال تختزنها ذاكرة الابن/الطفل في علاقته بوالده .

كما تجدر الإشار ة إلى اختلاف مواقف الشعراء من الموت نفسه ، فإذا كان هناك من استسلم لهذه الحقيقة الوجودية الكبرى التي لا ا ردّ لها ، فقد رأينا من يتذمر من الموت ويسخط عليه وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث :

سَعَتْ هذه المقاله إلى دراسة موضوع (رثاء الأب في الشعر العربي المعاصر) ،بغية استبانة طبيعة هذه التجربة على المستويين الشعوريّ والفكريّ وقد جاءت هذه المقاله بعد مقدمتها ، التي اشتملت على موضوع الرثاء و أسباب اختيار الموضوع ، ومنهجية البحث ، وهيكلته... فاهتمت بتجلية مواقف الشعراء من تجربة فقد الأب ،حيث أمكن تمييز ثلاثة مواقف أساسية ، هي : موقف الحزن والتفجع ، وموقف الحنين والتذكار ، وموقف العتاب والندم أما أبرز النتائج التي انتهت إليها هذه المقاله ،فيمكن معاينتها بشكل تفصيلي في الخاتمة ، التي اختصت برصدها ، لكن ما نعني اليه هو أنَّ رثاء الشّاعر لا قرب الناس اليه و هو أبيه كيف يفرِّغ أحاسيسه و عواطفه إزاء فقدان الأب الذي ربَّاه مذ نعومه أظفاره وحماه من قساوه البرد و الفقر و الجوع و الحرمان و كساه أحسن ما يشتهيه وضمَّه الي صدره فالهمه العواطف الجميله فهذا الشاعر كيف يعامل هذه الفجوه في دهره فكل ذلك نتلمسه من خلال الرثاء التي تحبِّره يراعته لهذا المصاب الجلل الذي حل فيه.

الكلمات الرئيسية :رثاء ، الأب ،التفجع ،الحنين ،العتاب

رثاي پدر در شعر عربي معاصر

الهه پي سپار

ايﻦ مقاله به بررسي علمي موضوع رثاي پدر در شعر عربي معاصر مي پردازد تا ايﻦ عمل ادبي در دو بعد

احساس وعقلانيِ روشن گـردد واين مقاله با پيش درآمد مقدمه ي آن كه به موضوع رثاي پدر وعلت انتخاب

چنين موضوعي و روشمندي وساختار تحقيقي آن بيان شده است ونگارنده ها سعي مي نمايند تا شاهكارهاي شاعران از غم فراق وجدايي از دست دادن پدر هويدا نمايند لذا امكان شرح و توضيح سه شاهكار اساسي ذيل در شعر شاعران كه به موضوع رثاي پدر پرداخته اند منظور گرديده است:الف : جايگاه غم وبيزاري از دست دادن پدر در رثاي پدران شعراء. ب : جايگاه مهربانيِ ويادِ خاطرات پدران در رثاي پدران شعراء. ج: جايگاه پشيماني وعتاب در رثاي پدران شعراء لذا چنين پديده هايي در اين مقاله مورد كنكاش قرار مي گيرد ودر پايان به مهمترين نتايج كه مفصلا در پايان مقاله مي آيد پرداخته مي شود وهمانا كه خداوند توفيق دهنده وهدايت گر راه مستقيم است.

واژه هاي كليدي: ضجه و زاري كردن، پدر، فرياد رسي ، مهرباني، اندرز

Abstract

This Study Aimed To Deal The Subject Of The (The Father Lament In Modern Arabic Poetry) In order to identify the literary function of this experience at both the emotional and intellectual .

The study had come after (Introduction), which included father lament, and the reasons for selecting the topic, and previous studies, and research

Methodology, and restructuring care (first) the masterpiece of poets from the sorrow experience of the father lost, where they could distinguish three basic masterpiece are: the situation of sorrow and disaster, and the attitude of nostalgia and memoir, and the situation of reproach and remorse. The main findings of this study can be previewed in details in (Conclusion)which will mention, and God blesses, guides, the right way. Finally Contemporary Literature as a

Tool Contemporary romantic poets Is characterized.Because the focus of this article will be poems.

Key words: lament, father, Grief, nostalgia, admonition

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، محمد بن مكرم؛ لسان العرب ؛ نشر دار صادر ؛ بيروت؛١٩٩٧م .

٢- أبو هلالة، يوسف محي الدين ؛ دموع الوفاء ؛ دار الضياء للنشر والتوزيع؛ الطبعة الاولي؛١٩٩٨م.

٣- أبو ماضي، إيليا ؛ الخمائل ؛ دار العلم للملايين ؛ ط الثانية عشرة ؛ بيروت ؛ ١٩٩٩م.

٤- الأندلسي ، أحمد بن محمد ؛ العقد الفريد ؛ بتحقيق قميحة ؛ الجزء الثاني؛دارالكتب العلمية ؛ بيروت ؛ لبنان؛١٩٩٠م.

٥- بسيوني،سميرإبراهيم(جمع وتعليق)؛ ديوان محمود سامي البارودي ؛ مكتبة جزيرة الورد؛ ١٤٢٥م.

٦- الثعالبي، أبي منصور؛ الشكوى والعتاب وما وقع للخلّان والأصحاب ؛ دار الصحابة للتراث في طنطا ؛ الطبعة الأولى؛١٩٩٢م.

٧- الحساني، حسن عبد الله ؛ عِفتُ سُكونَ النار ؛ منشورات دار اللواء بالرياض ؛ ٢٠٠٤م.

٨- الخاطر، دكتور عبد الله ؛ الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسُّنة ؛ راجعه وقدم له الدكتور عبد الرازق بن محمد الحمد؛ نشر أضواء البيان ؛الرياض ؛١٤١٢هق.

٩- زنجير، محمد رفعت ؛ التشبيه في مختارات البارودي دراسة تحليلية ؛ رسالة معدة لنيل درجة
الدكتوراه في البلاغة والنقد؛ المشرف: أ.د/ عبد اللطيف خليف ؛١٩٩٥ م.

١٠- الزيودي ، حبيب ؛ منازل أهلي ؛ مطبعة الصفدي ؛ عمان ؛ ١٤١٨هق.

١١- السبكي،محمد عبداللطيف وعبدالحميد،محمد محي الدين ؛ المختار من صحاح اللغة ؛ مطيعة الاستقامة ؛ القاهرة ؛ ١٩٩٨م.

١٢- الشابي ، ابوالقاسم ؛ أغاني الحياة ؛ نشر دارالصادر ؛ بيروت ؛ الطبعة الثانية ؛ ١٤٢٥هق.

١٣- الشابي ، ابوالقاسم؛ عبقرية فريدة وشاعرة متجددة ؛دراسة سحر عبد الله عمران؛نشردار البعث؛ ٢٠٠٩ م.
١٤- شوقي، ضيف ؛ الرثاء ؛ نشر دارالمعارف ؛ قاهرة ؛ الطبعة الرابعة ؛١٩٩٩م.
١٥- شوقي ، أحمد ؛ الأعمال الشعرية الكاملة ؛ المجلد الثاني؛ دار العودة ؛ بيروت؛ ١٩٨٢م.
١٦- الشيخلي، عبد القادر؛ مدح العتاب وذمه في الشريعة والحكمة والأخلاق ؛ دار الحضارة للنشرو التوزيع الرياض؛ الطبعة الاولي؛٢٠٠٩م.
١٧- عبد الصبور، صلاح ؛ ديوان الناس في بلادي ؛ دار العودة ؛ الطبعة الاولي ؛١٩٧٢م.
١٨- عبد المجيد، أحمد ؛ أحمد شوقي الشاعر الإنسان ؛ دار المعارف ؛ القاهرة ؛١٤١٤هق.
١٩- العسكري ، أبي هلال ؛ ديوان المعاني ؛ بتحقيق أحمد حسن بسج؛ الجزء الأول ؛ دار الكتب العلمية ؛ بيروت؛ ط الاول؛ ١٩٩٤م.
٢٠- العنزي ، خالد بن عون ؛ الندم والنادمون في ضوء القرآن الكريم ؛ مكتبة دار الزمان للنشر و التوزيع ؛المدينة المنورة ؛ الطبعة الأولى؛٢٠١٠ م.
٢١- عياش ، ليث محمد ؛ سلوك العنف وعلاقته بالشعور بالندم ؛دارالمعارف؛ القاهرة؛ ١٤٢٢هق.
٢٢- الغزالي، أبي حامد محمد ؛ إحياء علوم الدين ؛ الجزء الرابع ؛ إندونيسيا ؛ مطبعة سماراغ؛ ١٤١٥هق.
٢٣- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ؛ القاموس المحيط ؛ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر
والتوزيع؛ بيروت ؛ الطبعة الثامنة ؛ ٢٠٠٥م.
٢٤- الكوفحي(التحقيق) ، إبراهيم؛ شعر عبد المنعم الرفاعي ؛ الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ؛ الأردن؛الطبعة الأولى ؛٢٠٠٣م.
٢٥- المالكي، مصلح بن بركات؛ رثاء الأسرة في شعر ابن حمديس الصقلي ؛رسالة لدرجة الماجيستر في الفرع الادب العربي؛جامعة ام القري؛ ١٤٢٧ هق.

٢٦- المسدي ، عبدالسلام؛ قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ؛ دار سعاد الصباح ؛ الكويت ؛ الطبعة الرابعة ؛ ١٩٩٣م.

٢٧- يحي ، مخيمر؛ رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري ؛رسالة دكتوراه؛ مكتبة المنار الأردن؛ الطبعة الأولى؛١٩٨١ م.